

فاعلية التصريف والاشتقاق في تفسير "الجواهر الحسان" لعبد الرحمن الثعالبي الجزائري

The Effectiveness of Conjugation and Derivation in Tafsir Al-Jawāhir al-Hasan by Sheikh Abdul Rahman Al-Thaalabi Al-Jaza'iri

* عائشة عبيزة - Aicha ABIZA

جامعة عمار تليجي - الأغواط، الجزائر

Amar Telidji University - Laghouat, Algeria

ai.abiza@lagh-univ.dz

نُشر في: 2026/06/30

قُبِل في: 2026/04/23

اُسْتُلم في: 2026/03/02

الملخص

تُعدّ كتب التفسير من أكثر المصادر التطبيقية لعلوم اللغة العربية، خاصة النحو والصرف والبلاغة. وقد كان لعلماء التفسير آراء لغوية رائدة تعتبر منجزات علمية إلى يومنا هذا، ومن هؤلاء العلماء الإمام الشيخ عبد الرحمن الثعالبي الجزائري الذي تنوّعت روافده المعرفية والفكرية كما تنوّعت مؤلفاته العلمية في الفقه والتفسير والإعراب والحديث. ومن أهم مؤلفاته "الجواهر الحسان" في تفسير القرآن الذي استثمر فيه خلاصة اطلاعه على كتب غيره من المفسرين، وحرص على إغنائه بالمعالجة في شتى العلوم اللغوية والقرآنية. ومما استوقفني في هذا التفسير اعتماده على آليتي التصريف والاشتقاق لتوجيه معاني المفردات القرآنية وقد اطّرد ذلك عنده حتى صار ملمحا مميّزا في تفسيره، يظهر من خلاله اعتماده على ثقافته اللغوية وأثرها في توجيهاته وتأويلاته الدلالية.

الكلمات المفتاحية: فاعلية، التفسير اللغوي، التصريف، الاشتقاق، الثعالبي.

* المؤلف المراسل: عائشة عبيزة

مجلة المجمع الجزائري للغة العربية / © 2026، المؤلفون. بنشرها: المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر.

نشر هذا المقال بموجب ترخيص المشاع الإبداعي رخصة المشاع الإبداعي غير التجارية والحفاظة للنسب CC BY-NC (https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.ar).

ABSTRACT

Books of Tafsir are considered among the most applied sources for Arabic language sciences, especially grammar, morphology, and rhetoric. Tafsir scholars had pioneering linguistic views that are considered scientific achievements to this day. Among these scholars is Imam Sheikh Abdul Rahman Al-Thaalabi Al-Jaza'iri, whose cognitive and intellectual sources varied as did his scientific writings in Fiqh, Tafsir, 'Arab, and Hadith. One of his most important works is "Al-Jawahir Al-Hisan" in Tafsir of the Qur'an, in which he invested the summary of his reading of other interpreters' books, and was keen to enrich it with treatment in various linguistic and Qur'anic sciences. What caught my attention in this Tafsir was his reliance on the mechanisms of Tasrif and Ishtiqāq to direct the meanings of Qur'anic vocabulary, which occurred consistently in his work until it became a distinctive feature in his Tafsir, through which his reliance on his linguistic culture and its impact on his guidance and semantic interpretations appears.

Keywords.

KEY WORDS: *Effectiveness, Linguistic Interpretation, Tasrif, Ishtiqāq, Al-Thaalibi.*

* Corresponding author: Aicha ABIZA

Journal of Algerian Academy of the Arabic Language / © 2026 The Authors. Published by Algerian Academy of the Arabic Language, Algeria.

This is an open access article under the CC BY-NC (<https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/deed.en>).

- مقدمة

يُعدّ التفسير اللغويّ أحد أهم المناهج التي أسهمت في بيان معاني القرآن الكريم ومفرداته وتراكيبه بناءً على قواعد اللغة العربية وأساليبها، ودقّة تعبيرها عن مقاصدها، إذ يستند إلى دراسة الألفاظ من حيث جذورها واستعمالاتها وسياقاتها في اللغة العربية. ومن أبرز المفسرين الذين اعتنوا بهذا المنهج الإمام عبد الرحمن الثعالبي (ت. 875هـ) صاحب كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وهو من علماء الجزائر الذين جمعوا بين الفقه واللغة والتصوف، فكان تفسيره مرآة جامعةً بين البيان القرآني وروح العربية الأصيلة.

ومن الأهداف التي يسعى إليها هذا البحث:

- الكشف عن جهود أحد علماء الجزائر في التفسير اللغويّ.
- عرض بعض المسائل اللغويّة في تفسير الجواهر الحسان التي تتعلق بالتصريف كإجراء تتحدد من خلاله معاني المفردات، والاشتقاق باعتباره موجهاً لتلك المعاني وتأصيل مادتها المعجميّة.
- تقديم دراسة تطبيقية لتوظيف آليتي الاشتقاق والتصريف في تفسير الجواهر الحسان من خلال تحليل نماذج وأمثلة من هذا التفسير.

1. دور التصريف في توجيه المعاني

يعرّف التصريف بأنه "تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة، لا تحصل تلك المعاني إلا بهذا التغيير، وذلك كتحويل المصدر "قطع" إلى الفعل الماضي "قطع"، والمضارع "يقطع"، والأمر "أقطع"، وغيرها مما يمكن أن نتوصل إليه من مشتقات تتصرّف عن الكلمة الأصل كاسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبّهة، وغيرها، وهو إلى جانب ذلك علم يبحث فيه عن المفردات من حيث صورها وهيئاتها، أو من حيث ما يعرض لها من صحة، أو إعلال، أو إبدال.

وتُمثّل الأبنية الصرفيّة في اللغة العربيّة جانباً أساسياً من جوانب تحصيل معاني الكلمات، ذلك أن علم الصرف، باعتباره علماً يُعنى بالمفردات وتتبع التغييرات التي تلحقها، يهتمّ بنوعين من الكلم (الأفعال المتصرفّة، والأسماء المتمكّنة) لأنها ممّا يلحقه التغيير والتبديل من هيئة لغويّة إلى أخرى، وهذه التغييرات في المباني تُؤدي إلى تغييرات على مستوى المعاني. ويتوقف على التصريف كثير من قضايا المعنى في اللغة العربية منها: تقسيم الكلم، وتعدّد معاني الصيغ الصرفيّة،

وتوجيه الإعراب؛ فالكلمات التي تتفق في المادة اللغوية أو المعجمية تختلف في بنيتها الصرفية، لذلك كان اهتمام علماء التفسير بالظواهر الصرفية خاصة تصريف الكلمات لتحديد معانيها انطلاقاً منها، فالدلالة بالاسم تختلف عن الدلالة بالفعل، كما تختلف الألفاظ باختلاف دلالات صيغها مثل اختلاف صيغة "انفعل" عن صيغتي "فعل" و"تفاعل".

الجدول 1: دور التصريف في تغيير دلالة الفعل بالزيادة فيه

الكلمة	بصيغة فعل	بصيغة تفاعل	بصيغة استفعال
عظم	عظّم = التعدية	تعاضم = التظاهر	استعظم = التحول
فهم	فهمّ = التعدية	تفاهم = المشاركة	استفهم = الطلب
رجع	رجّع = التكثير	تراجع = المشاركة	استرجع = الطلب / اختصار الحكاية

2. دور الاشتقاق في تحديد معاني الكلمات في اللغة العربية

عُرّف الاشتقاق في اللغة العربية بأنه "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصلية بزيادة مفيدة؛ لأجلها اختلفا حروفا وتركيبا كضارب من الضرب، وحذر من الحذر" (ابن مالك، 1999. ص. 315)، إذ إنّ هذه الآلية تؤدي دوراً أساسياً في اللغة العربية يتمثل في بيان دلالات ألفاظها وتوليد معاني جديدة وإثراء المعجم العربي، حيث يعتبر الاشتقاق الأداة الرئيسية لتنمية المفردات وفهم معانيها بعمق، ومن ثم حدّد دوره في توجيه معاني المفردات في القرآن الكريم انطلاقاً من دوره في اللغة العربية، باعتباره وسيلة بيان للمعاني، والتعمّق في فهم كلام العرب من خلال الروابط الدلالية التي تشترك فيها المفردات مع الجذور المعجمية التي اشتقت منها، لذلك كثيراً ما نجد بعض المفسرين يشيرون في تفاسيرهم لكثير من ألفاظ القرآن الكريم إلى أمثلة من هذا العلم، كما أنّ كثيراً من المصنّفين في فروع علم اللغة يشيرون أيضاً إليه إشارات هامة عند شرح بعض الاصطلاحات وبيان أوجه الاشتقاق فيها، ففي قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [الدُّخَان: 56] فُسّر الفعل "وقاهم" بأنه مشتق من الوقاية، وهي الحائل بين الشيء وبين ما يضره، وهذا متمكّن في متقي المعاصي، الذي لا يدخل النار (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418 هـ. ج. 5، ص. 312). ويُعدّ الاشتقاق والتصريف عماد اللغة العربية في توليد الألفاظ وإثراء المعاني، وهما علمان متداخلان يعملان معاً على ضبط بنية الكلمة وبيان دلالتها.

3. من مظاهر المنهج اللغوي عند الثعالبي

اعتمد الثعالبي في تفسيره على التحليل اللغوي بوصفه أداةً أساسيةً لفهم النص، فجاءت شروحه مشحونة ببيان الأصول الاشتقاقية للألفاظ، وتفسير معانيها بحسب ما ورد في المعاجم العربية وكتب النحو والبلاغة، كما اعتمد على تصريف الكلمات مما له علاقة وثيقة بتوجيه معانيها المستفادة في التركيب. ومن ملامح منهجه في التفسير اللغوي، مما له علاقة بالاشتقاق والتصريف:

- أ- الاهتمام بأصول المفردات: كان الشيخ الثعالبي يرجع إلى جذر الكلمة ليستخرج منها المعنى الأصلي، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179] حيث بين أن "القصاص: مأخوذ من: "قَصَّ الأثر" فكأن القاتل سلك طريقاً من القتل، فقَصَّ أثره فيها (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418 هـ، ج. 1، ص. 368).
- ب- الاعتماد على القراءات القرآنية: كان يوظف اختلاف القراءات لتوسيع المعنى، ويرى أن التعدد اللفظي يثري الدلالة ولا يضادها، ومن جهة أخرى يوجهها صرفياً ودلاليًا، ومن أمثلة ذلك ما ورد في تفسيره: "وقرأ جمهور القراء: "بَلِ إِذْ أَرَاكَ" أصله: تَدَارَكَ. وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: "بَلِ إِذْ أَرَاكَ" على وزن افتعل، وهي بمعنى: تَفَاعَلَ" (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418 هـ، ج. 4، ص. 257).
- ت- الاستشهاد بالشعر العربي: كان يورد في تفسيره الشواهد الشعرية لتأكيد معاني الألفاظ، مما يجعله من العلماء الذين يرون أن الشعر ديوان العرب، وهو مصدر أصيل لفهم لغة القرآن الكريم.
- ث- التمييز بين المعاني الحقيقية والمجازية: كان الشيخ الثعالبي واعياً بالأبعاد البلاغية للغة القرآن الكريم، فكان يُبين المعنى الظاهر والمجازي، ويُرجح أحدهما بحسب السياق، مثل إسناد الغضب لله عزَّ وجلَّ الذي صرفه في هذا السياق إلى معنى إرادة العقوبة في قوله تعالى: ﴿وَعَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [الفتح: 6].
- ج- الاعتماد على الإعراب والتصريف: كان في بعض المواضع في اختياراته للأوجه الإعرابية يقف على تصريف الكلمة مما له علاقة بتوجيه الإعراب، من ذلك إعرابه لكلمة "هُدَى" في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: 185]، على أنها حال منصوب، أي: هادياً، فهو مصدر وضع موضع اسم الفاعل (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418 هـ، ج. 1، ص. 381).

ح- الاستعانة بألية الاشتقاق: لبيان دلالات ما جاء من ألفاظ غير واضح الدلالة، بحيث كان يتوقف تحديده على ما يشترك معه في الاشتقاق، من ذلك ما جاء في تفسير الجواهر الحسان من تحديد لمعنى "العالمون" بأنها جمع عالم، وهو كل موجود سوى الله تعالى... والعالم جمع لا واحد له من لفظه، وهو مأخوذ من العلم والعلامة لأنه يدل على موجد (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418 هـ، ج. 1، ص. 164).

4. فاعلية التصريف والاشتقاق في تفسير القرآن الكريم

يمكن القول إن كتب تفسير القرآن الكريم تعد مجالا رحبا لتطبيقات علوم اللغة العربية، أو لنقل هي بمثابة مدونة تطبيقية للفكر اللغوي العربي باختلاف أسسه ومنطقاته النظرية والإجرائية، ولعل مما له صلة بموضوع هذا البحث تطبيقات التحليل الصرفي لدى المفسرين الذين يعتمدون في تفسير نصوص القرآن الكريم على المعارف اللغوية؛ متمثلة في النحو والصرف والبلاغة والمعاني المعجمية والاجتماعية وكل ما له صلة بأداء اللغة العربية ووجوه بيانها ومعانيها، لذلك نجدهم يشترطون في المفسر أن يكون عالما باللغة بكل مستوياتها، فهذا هو السيوطي يرصد لنا في كتاب الإتقان شروط المفسر الذي ينبغي "أن يؤاخي بين المفردات ويجب عليه البداية بالعلوم اللفظية وأول ما يجب البداية به منها تحقيق الألفاظ المفردة فيتكلم عليها من جهة اللغة ثم التصريف ثم الاشتقاق ثم يتكلم عليها بحسب التركيب، فيبدأ بالإعراب، ثم بما يتعلق بالمعاني ثم البيان ثم البديع ثم يبين المعنى المراد ثم الاستنباط ثم الإشارات" (السيوطي، الإتقان، 1974، ج. 4، ص. 227-228).

والتفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمتات، قال أبو حيان الأندلسي: "فقولنا "علم" جنس، وقولنا: "يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن" هو علم القراءة، وقولنا: ومدلولاتها أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا متن علم اللغة الذي يحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: "وأحكامها الإفرادية والتركيبية"، هذا يشمل علم التصريف والبيان والبديع وقولنا ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب يشمل ما دللته بالحقيقة، وما دللته بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صاذاً، فيحتاج لأجل ذلك أن يحمل على غير الظاهر، وهو المجاز (الأندلسي، البحر المحيط، 2000، ج. 1، ص. 26).

ظهر الشيخ الثعالبي في أكثر المواضع ملما بالجوانب اللغوية، ففسر مثلا الفعل "سَوَّلَ" في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: 25] على أن معناه: "رجاهم سؤلهم وأمانهم، ونقل أبو الفتح عن بعضهم أنه بمعنى "دلاهم" مأخوذ من السؤل، وهو الاسترخاء والتدلي، وقال العراقي سؤل أي: زين سوء الفعل" (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418هـ، ج. 5، ص. 240).

ولا يقف علماء التفسير عند علم دون آخر إذ نجدهم يأخذون من كل علم بطرف ليدققوا ويحققوا معاني القرآن الكريم على مستوى المفرد والتركيب فيستفيدون من كل معطى لغوي سواء أكان صرفياً أم معجمياً أم نحوياً، ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: 22] حدّد الشيخ الثعالبي معاني مفردات الآية انطلاقاً من كل دليل صرفي أو نحوي: جعل بمعنى «صير» في هذه الآية لتعديها إلى مفعولين، و «فراشا» معناه: تفترشونها، و «السماء» قيل: هو اسم مفرد، جمعه سماوات، وقيل: هو جمع، واحده سماوة، وكل ما ارتفع عليك في الهواء، فهو سماء (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418هـ، ج. 1، ص. 196). وقد ربط المفسرون بين التصريف والاشتقاق كثيراً، وذلك من أجل بيان معاني الألفاظ القرآنية التي تقوم على المكوّن الصرفي المتمثل في صيغها وما تدلّ عليه من معنى أو معانٍ، والمكوّن الدلالي الذي يرتبط بالمادة المعجمية التي اشتقّ منها في تلك الصيغة المستعملة، وهذا لا يعني ربط المفسرين للتصريف والاشتقاق مطلقاً لتحديد معاني الكلمات في القرآن الكريم، إذ قد يكتفي المفسر باعتماد التصريف دون الاشتقاق حسب طبيعة الكلمات وسياق استعمالها كما ذكر الشيخ الثعالبي عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يُوسُف: 32]؛ إذ ردّ دلالة استفعال في قوله "استعصم" على الطلب واختار تفسير "استعصم" بـ "اعتصم" لكونه أولى من جعله للطلب، إذ لا يلزم من طلب الشيء حصوله (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418هـ، ج. 3، ص. 324).

5. تضافر آليتي الاشتقاق والتصريف في تفسير الجواهر الحسان

مما عرف به تفسير الجواهر الحسان التزام مؤلفه بالاحتجاج باللغة، والمسائل النحوية، والتصريفية، وغيرها مما عدّه العلماء شروطاً للمفسر والتفسير، وسأقف في هذا البحث على المسائل التصريفية المتمثلة تحديداً في التصريف والاشتقاق، لما لهما من أهمية بالغة في بناء معاني الألفاظ وفهمها، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمُ أُسْرَىٰ تَقْدُوهُمْ﴾ [البقرة: 85] أورد الشيخ الثعالبي تفسيره لكلمة "أسارى" انطلاقاً من اشتقاقها، كما بيّن دلالة صيغة فعيل فيها، إذ تُعدّ من المشترك في اللغة العربية (فهي تستعمل للدلالة على اسم الفاعل كما تستعمل لاسم المفعول)،

ف"أسارى": جمع أسير، مأخوذ من الأسر، وهو الشدّ، ثم كثر استعماله حتى لزم، وإن لم يكن ثم ربط ولا شد، وأسير: فعيل: بمعنى مفعول (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418 هـ، ج. 1، ص. 275). ويظهر من هذا التوجيه أنّ الثعالبي وفق في بيان انتقال اللفظ من دلالاته الاشتقاقية الحسية الأصلية (الربط والشد) إلى دلالة عرفية أوسع، مع تحديد الوزن الصرفي للمفردة (فَعِيل) وقيمتها الدلالية النائبة عن اسم المفعول.

إن توارد آليتي التصريف والاشتقاق معا وما يقوم عليه من مراعاة لتغييرات المعاني وتقابلاتها في اللغة العربية على مستوى المفردات يسمح بتحديد المعنى بدقة من خلال تقاطع الصيغ والمادة المعجمية للفظ، وهو ما اعتمده أغلب المفسرين ومنهم الشيخ الثعالبي الذي يظهر من خلال تفسيره مظهر المطلع المتبحر في اللغة العربية وعلومها، إذ لا يفوت ظاهرة لغوية صرفية أو نحوية إلا تصدّى لها بالتحليل أو باعتماد أقوال المفسرين قبله من باب اتفاهه معهم في مواضع واختلافه معهم في مواضع أخرى.

كما أنّ تعدّد وجوه الاشتقاق في اللفظ الواحد يُعدّ توسعا في فهم الألفاظ القرآنية وهذا عندما يكون كل اشتقاق له تخريجه كما له دوره في إبراز المعنى في سياق الآية أو الآيات، ومن ثم يمكننا القول إن هذه الظاهرة التي اطردت في كتب التفسير وتناقلها العلماء في كتبهم دون رفض بعضها وقبول الآخر، أو عدم ترجيح بعضها، إنما كان بسبب صحة كلّ منها وعدم وجود تناقض بينها، لما كان القرآن نازلا من المحيط علمه بكل شيء، كان ما تسمح تراكيبه (وكذلك مفرداته) الجارية على فصيح استعمال الكلام البليغ باحتماله من المعاني المألوفة للعرب في أمثال تلك التراكيب، مظنوننا بأنه مراد لمنزله، ما لم يمنع من ذلك مانع صريح أو غالب من دلالة شرعية أو لغوية أو توقيفية (ابن عاشور، د.ت، ج. 1، ص. 94). وفيما يلي، نسوق جملة من الألفاظ القرآنية التي استدعى فيها الثعالبي آليتي التصريف والاشتقاق، مع بيان التوجيه والتخريج اللغوي الذي اعتمده في كلّ لفظ:

1.5. لفظة الحلائل

تضافرت آليتا الاشتقاق والتصريف عند الشيخ الثعالبي في توجيهه دلالة اللفظ القرآني "الحلائل" في تفسيره لقوله تعالى ﴿وَحَلَّتِلْ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ [النساء: 23]؛ إذ يقول: "والحلائل: جمع "حليلة" لأنها تحلّ مع الرّوح حيث حلّت، فهي "فَعِيلَةٌ" بمعنى "فَاعِلَةٌ"، أو أنّها مِنْ لَفْظَةِ "الْحَلَالِ"، فهي حليلةٌ بمعنى مُحَلَّلَةٌ أي اسم مفعول لأنها حلّت له" (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418 هـ، ج. 2، ص. 201)، وبذلك برهن الثعالبي على أن صيغة (فَعِيلَة) قد جمعت بين احتمالين دلاليين، لكل منهما أصل اشتقائيّ معتبر في اللسان العربيّ. وقد عزّز الثعالبي هذا التوجيه اللغويّ بالاستناد

إلى ما ذهب إليه السجستاني في تتبع اللفظ؛ إذ إنّ حليّة الرجل هي امرأته، "وإنما قيل للمرأة حليّة، لأنها تحل معه ويحل معها، ويقال للرجل حليتها، لأنها تحل معه ويحل معها، ويقال حليّة بمعنى محلّة؛ لأنها تحلّه ويحلّها" (السجستاني، 1995، ص. 186-187)، ومما يؤكّد شيوع هذا الاستعمال في الشواهد الشعريّة التي استشهد بها السجستاني ما جاء في معلقة عنتر بن شداد (الرّوزني، 2002، ص. 256):

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلًا تَسْفِي عَلَيْهِ الرِّيحُ رَجُلَ سِرْوَالِ

حيث وظّف الشاعر لفظ (الحليل) للإشارة إلى زوج المرأة (الغانية)، ممّا يعكس دقّة المفسّر في ربط الصيغ التصريفية بأصولها الاشتقاقية والشواهد الفصحى.

2.5. لفظ بَيْت

في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّنُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ [النساء: 81]: رغم اتفاق المفسرين على نزول هذه الآية في المنافقين، وكون المعنى أنهم "يقولون لك يا محمد: أمرنا طاعة، فإذا خرجوا من عندك، اجتمعوا ليلا، وقالوا غير ما أظهروا لك"، إلا أن الفعل (بَيَّتَ) يعدّ رافدا مهما للمعنى العام لاحتماله اشتقاقين، وهو ما اعتمده الشيخ الثعالبي في تفسيره للآية؛ إذ يرى أن "بَيَّتَ: معناه: فعل ليلا، وهو مأخوذ من بات، أو من البيت لأنه ملتزم بالليل" (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418هـ، ج. 2، ص. 267) لأن البيت أكتم لأسرارهم ومستقرّ ليلهم ولا يطلع عليهم فيه أحد فجمع بين سترين: ستر الاجتماع في بيت وحدهم، وكون ذلك الاجتماع في ستر من الليل.

3.5. لفظ البارئ

في قوله تعالى: ﴿فَتَوَبُّوا إِلَى بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: 54]، مِنْ بَرَاءِ اللَّهِ الْخَلْقَ، أي: خلقهم، فالبريئة: فعيلة بمعنى مفعول (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418هـ، ج. 1، ص. 239). وقد اعتمد الثعالبي في تفسير لفظ "البارئ" على تصريف الكلمة وبيان الدلالة المستفادة من توظيفها هنا بكونها في المفعول هي "البريئة" أي المخلوقة، وفي "البارئ" بمعنى الخالق، ممّا يؤكّد القيمة الدلالية للبنية الصرفية للمفردات في فهم معانيها في القرآن الكريم.

4.5. لفظ أولى

في قوله تعالى: ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ﴾ [مُحَمَّد: 20] وكذا في قوله: ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾ [الْقِيَامَةِ: 34] ذهب الشيخ الثعالبي إلى ذكر المعاني التي تنصرف إليها كما ذكر عند أغلب المفسرين قبله من كونها أي "أولى لك" في سياق التهديد والوعيد، وأن لفظ "أولى" اسم مشتق من الولي، وهو القرب، كما قيل إنه مأخوذ من الويل، فقلب، فوزنه "أفلع" (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418هـ، ج. 5، ص. 238)، وهذه كلها توجهات تتعلق ببنية اللفظ في اللغة وربطه بالسياق الذي ورد فيه.

5.5. لفظ أذن

في قوله تعالى: ﴿قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ﴾ [التَّوْبَةِ: 61] يذهب الثعالبي في توجيهه معنى "أذن" إلى أنهم "أرادوا بقولهم: (هو أذن): أي: يسمع كل ما ينقل إليه عنا، ويصغي إليه ويقبله، فهذا تشك منه عليه السلام، ومعنى أذن: سَمَاع، وهذا من باب تسمية الشيء بالشيء، إذا كان منه بسبب كما يقال للرؤية: عين وكما يقال للمسنة من الإبل التي قد بزل ناهبا ناب" (الثعالبي، 1418 هـ، ج. 3، ص. 191). وقيل: معنى الكلام: ذو أذن، أي: ذو سماع، وقيل: إنه مشتق من قولهم: أذن إلى شيء إذا استمع ومنه قول الشاعر (أبو القاسم الفارسي، د.ت، ج. 3، ص. 181):

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقرأ نافع: "أذن" - بسكون الذال فيهما- (البغدادي، كتاب السبعة في القراءات، 1400هـ، ص. 315)، وقرأ الباقون بضمها فيهما، وكلهم قرأ بالإضافة إلى «خير» إلا ما روي عن عاصم، وقرأ الحسن وغيره: "قل أذن خير" بتنوين "أذن" ورفع "خير" (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418هـ، ج. 3، ص. 191-192).

6.5. لفظ أزل وأزال

جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [البَقَرَةِ: 36]: فـ"أزلهما": مأخوذ من الزل، وهو في الآية مجاز لأنه في الرأي والنظر، وإنما حقيقة الزل في القدم، وقرأ حمزة: "فأزالهما" مأخوذ من الزوال (أبو علي الفارسي، 1993، ج. 2، ص. 14؛ الثعالبي، 1418 هـ، ج. 1، ص. 181)، فيكون الثعالبي قد اعتمد في تحليل هذا الفعل بالاعتماد على قراءتين مختلفتين "أزل" المضعّف، و"أزال" المعتل، ومن ثم اختلاف المعنى لاختلاف اللفظ (بين المضعّف والمعتل).

7.5. لفظ استكان

في قوله تعالى: ﴿وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا﴾ [آل عِمْرَانَ: 146]، فقد أورد الشيخ الثعالبي في تفسيره لقوله "وَمَا اسْتَكَانُوا" وجهين دلاليين يتعلقان باشتقاق كلمة "استكان". يقول: "ذهبت طائفة من النحاة إلى أنه من السُّكُون، وَذَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّهُ مَأْخُودٌ مِنْ "كَانَ، يَكُونُ"، وَأَصْلُهُ: اسْتَكُونُوا، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ لَمْ يَضْعُفُوا، وَلَا كَانُوا قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ" (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418 هـ، ج. 2، ص. 119). ويتضح هنا أن الثعالبي جمع بين المعنى اللغوي الاشتقائي والمعنى العقدي، ففسر الكلمة من خلال جذورها اللغوية واستعمالاتها في لسان العرب.

8.5. لفظ شعائر

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَصْفَا وَالْمَرْوَةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 158]، إذ نرصد في هذه الآية تنوعاً في توجيه دلالات ألفاظها، منها التصريف والاشتقاق، فقد جاء في الجواهر الحسان أن "الصَّفَا: جمع صَفَاةٍ، وهي الصَّخْرَةُ الْعَظِيمَةُ، وَالْمَرْوَةُ وَاحِدَةُ الْمَرْوِ، وهي الحِجَارَةُ الصِّغَارُ الَّتِي فِيهَا لَيْنٌ، وَمِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ مَعْنَاهُ: مَعَالِمُهُ، وَمَوَاضِعُ عِبَادَتِهِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: ذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى الْقَوْلِ، أَي: مِمَّا أَشْعَرَكُمُ اللَّهُ بِفَضْلِهِ: مَأْخُودٌ مِنْ شَعَرْتُ، إِذَا تَحَسَّسْتُ" (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418 هـ، ج. 1، ص. 342). وقد وقف الثعالبي هنا على المعنى اللغوي انطلاقاً من تصريف لفظي "الصفاء، المروة" بإيراد مفرديهما، أما لفظ الشعائر فبعد تحديد معناه، أورد أصل اشتقاقه من شعرت أي تحسست.

9.5. لفظ المبين

في قوله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [يوسف: 1]، فقد فسّر لفظ (المبين) بمعنيين مختلفين يحملهما اللفظ من خلال اشتقاقه: "والمبين: البين الظاهر، وهو اسم فاعل من "أبان" الذي هو بمعنى "بان"، والمعنى: أنه ظاهر لكلّ أحد لا يُشكّ في رؤيته... و"مبين" اسم فاعل إما من أبان المتعدّي، وحذف مفعوله لدلالة "الذكرى" عليه، أي مبين لهم ما به يتذكرون، ويجوز أن يكون من أبان القاصر الذي هو بمعنى بان، أي رسول ظاهر، أي ظاهرة رسالته عن الله بما توفر معها من دلائل صدقه، وإيثار "مبين" بتخفيف الياء على "مبين" بالتشديد من نكت الإعجاز ليفيد المعنيين (ابن عاشور، د.ت، ج. 25، ص. 122). وفي ضوء هذا التحليل كان توجيه الشيخ الثعالبي للفظ دون ذكره للاشتقاق صراحة، وإنما يستشف من توجيهه الدلالي للفظ في سياق الآية بقوله: "ووصفه بالمبين من جهة بيان أحكامه وحلاله وحرامه ومواعظه وهُدَاهُ ونوره، ومن جهة بيان اللسان العربي وجودته" (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418 هـ، ج. 3، ص. 310).

10.5. لفظ أمر

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء: 16]، إذ أورد هنا قراءة الجمهور للفظ "أمر" على صيغة الماضي، كما أورد أيضا قراءتين مختلفتين في الصيغة الصرفية، على النحو التالي (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418هـ، ج. 3، ص. 458):

– أولاهما "أمرنا": بمدّ الهمزة، وهي قراءة رويت عن نافع وابن كثير، بمعنى كثرنا.

– والثانية: "أمرنا": بتشديد الميم، وهي قراءة أبي عثمان النهدي، وأبي العالبي وابن عباس، ورُويت عن علي، وهي من الإمارة.

وقد نقل الشيخ الثعالبي أولى هذه القراءات عن الطبري بقوله: "القراءة الأولى معناها: أمرناهم بالطاعة، فعصوا وفسقوا فيها" (الطبري، جامع البيان، 2001، ج. 15، ص. 532)، وهي الأولى في الاختيار دلاليًا، لذلك أورد الثعالبي رأي أبي عبيدة في تحليله لمعنى "أمرنا" بقوله: "قال أبو عبيدة وإنما اخترت هذه القراءة، لأن المعاني الثلاثة مجتمعة فيها، وهي معنى الأمر والإمارة والكثرة" (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418هـ، ج. 3، ص. 458).

11.5. لفظ أصبو

في قوله تعالى: ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: 32]، أورد الشيخ الثعالبي عدة أوجه دلالية للفظ "أصبو" فيرى أنه: مأخوذ من الصبوة، وهي أفعال الصبا (الثعالبي، الجواهر الحسان، 1418هـ، ج. 3، ص. 324). ومن ذلك قول دريد بن الصمة (الأصمعي، 1993، ص. 108):

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل أبعده

ف «أصب» معناها: "أمل"، وهو جواب الشرط، ويكون المعنى "أمل إليهن، وأتابعهن على ما يُردن مني ويهوين" (الطبري، جامع البيان، 2001، ج. 13، ص. 145)، والصبابة: إفراط الشوق (الثعالبي، 1418هـ، ج. 3، ص. 324). ونلاحظ هنا أن هذا التعدد في معنى "أصبو" يعود إلى أن الجذر اللغوي المشترك للمفردة يسمح بالانفتاح على معان متعددة متكاملة يجمعها سياق الآية.

- خاتمة

أبرز الثعالبي أهمية المفردة القرآنية في بناء المعنى العام في الآية أو السياق التركيبي، فكان تفسيره ميدانًا لتجلي الوعي الدلالي بالمفردة، وبذلك تتجلى قدرة الثعالبي على تحويل المعنى اللغوي إلى معنى عقدي وبياني في آن واحد، دون إخلال بروح النص أو مقاصده.

1. يجمع الثعالبيّ بين دقة التحليل اللغويّ وعمق التدوّق القرآنيّ، مما جعل تفسيره يتميّز بطابع خاص اعتمد فيه على اللغة جمعاً لأقوال العلماء، وهو أمر يجعل منه مصدراً هاماً لذلك.
 2. يتميّز تفسير الجواهر الحسان باعتماده خصائص اللغة العربيّة (المبنيّ / المعنى) في فهم القرآن، ومن ثمّ يربط بين اللفظ والسياق والمقصد في انسجام دلاليّ متكامل.
 3. إنّ التفسير اللغويّ عند عبد الرحمن الثعالبيّ يمثّل نموذجاً واضحاً في توظيف المعارف اللغويّة، خاصة الاشتقاق والتصريف لبيان دلالات الألفاظ مما يخدم تفسير القرآن الكريم.
 4. أورد الثعالبيّ قضايا الاشتقاق في كثير من المواضع دون ذكر لفظه، فقد عبّر عنه بقوله: "مأخوذ من..."، كما أنه يأتي بالتصريف بعبارة مثل: "هو فعل، أو اسم فاعل..."، أو بإيراد الصيغ ومعانيها، مثل قوله: "افتعل بمعنى تفاعل"، وغير ذلك مما يظهر فيه وجود الآليات اللغويّة دون مصطلحاتها في تفسير الجواهر الحسان.
 5. لم يقف التوجيه الصرفي والاشتقائيّ عند الإمام الثعالبيّ في "الجواهر الحسان" عند حدود التأصيل النظريّ المجرد، بل تعداه إلى ممارسة تطبيقيّة واعية؛ استنطق من خلالها دلالات الألفاظ، وكشف عن أسرار النظم القرآنيّ، وتجلّى ذلك في استقرائه لعدد من الألفاظ القرآنية الثرية دلاليّاً، حيث عمد إلى تفكيك بنيتها الصرفيّة، متتبّعاً تقلباتها الاشتقاقية.
 6. لم يكن الثعالبيّ في تفسيره مجرد ناقل فحسب، بل كان ناقداً وموجهاً، يعرض التخريجات اللغويّة المختلفة التي دارت بين العلماء، ليفاضل بينها بناءً على ما يقتضيه السياق القرآنيّ للكلمة في الآية.
 7. رغم أن تفسير الجواهر الحسان حظي بدراسات كثيرة ومن منطلقات متعدّدة إلا أنه مازال يحتاج إلى تتبع ما فيه من خصوصية معرفية، ومن معارف لغويّة، في النحو والصرف والبلاغة، وغيرها مما يتطلب تسليط الضوء عليها من خلال تطبيق المناهج اللسانية بشكل تستثمر فيه بكل معطياتها علميّا وتعليميّا، خاصة أنها تتضمن كثافة معرفيّة تتراوح بين بساطة اللغة وعمق التحليل.
- وفي ختام هذا البحث أسأل الله تعالى أن يكون هذا الجهد المتواضع لبننة نافعة في صرح خدمة كتاب الله تعالى، وإبرازاً لجهود علمائنا الأجلاء؛ وفي مقدّماتهم الإمام عبد الرحمن الثعالبيّ الجزائريّ الذي برهن في تفسيره على عمق لغويّ فريد. وإنّي أضع بين يدي القارئ والباحث هذه النتائج، على أمل أن تفتح آفاقاً جديدة لدراسات أعمق تجمع بين علوم اللسان وعلوم التنزيل. وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

- قائمة المراجع

* المراجع باللغة العربية

1. الأندلسي، أ. ح. (2000). البحر المحيط (تحقيق ص. م. ج. العطار). دار الفكر.
2. البغدادي، أ. ب. م. (1400هـ). كتاب السبعة في القراءات (تحقيق ش. ضيف، ط. 2). دار المعارف.
3. الثعالبي، ع. ر. (1418هـ). الجواهر الحسان في تفسير القرآن (تحقيق م. ع. معوض، وع. أ. عبد الموجود، ط. 1). دار إحياء التراث العربي.
4. الزوّزني، ح. (2002). شرح المعلقات السبع (ط. 1). دار إحياء التراث العربي.
5. السجستاني، أ. ب. (1995). غريب القرآن (تحقيق م. أ. ع. جمران، ط. 1). دار قتيبة.
6. السيوطي، ج. د. (1974). الإتيقان في علوم القرآن (تحقيق م. أ. إبراهيم). الهيئة المصرية العامة للكتاب.
7. الطبري، م. ج. (2001). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق ع. ع. التركي، ط. 1). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
8. ابن عاشور، م. ط. (د.ت.). تفسير التحرير والتنوير (ط. 1). الدار التونسية للنشر.
9. ابن مالك، أ. ع. (1999). من ذخائر ابن مالك في اللغة مسألة من كلام الإمام ابن مالك في الاشتقاق (تحقيق م. م. ع. عمار). مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 29(107)، 1-20.
10. الفارسي، أ. ق. ز. ع. (د.ت.). شرح كتاب الحماسة للفارسي (تحقيق م. ع. علي، ط. 1). دار الأوزاعي.

Romanization of Arabic Bibliography

1. Al-Andalusī, A. H. (2000). Al-Baḥr al-muḥīṭ (Ş. M. J. Al-‘Aṭṭār, Ed.). Dār al-Fikr.
2. Al-Baġdādī, A. B. M. (1400AH). Kitāb al-sab‘ah fī al-qirā‘āt (S. Ḍayf, Ed.; 2nd ed.). Dār al-Ma‘ārif.
3. Al-Tha‘ālībī, ‘A. R. (1418AH). Al-Jawāhir al-ḥisān fī tafsīr al-Qur’ān (M. ‘A. Mu‘awwaḍ & ‘A. A. ‘Abd al-Mawjūd, Eds.; 1st ed.). Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.
4. Al-Zawzanī, Ḥ. (2002). Sharḥ al-mu‘allaqāt al-sab‘ (1st ed.). Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī.
5. Al-Sijistānī, A. B. (1995). Ġarīb al-Qur’ān (M. A. ‘A. Jamrān, Ed.; 1st ed.). Dār Qutaybah.
6. Al-Suyūṭī, J. D. (1974). Al-Itqān fī ‘ulūm al-Qur’ān (M. A. Ibrāhīm, Ed.). Al-Hay’ah al-Miṣriyyah al-‘Āmmah lil-Kitāb.

7. Al-Ṭabarī, M. J. (2001). Jāmi' al-bayān 'an ta'wīl āy al-Qur'ān ('A. 'A. Al-Turkī, Ed.; 1st ed.). Dār Hajar lil-Ṭibā'ah wa-al-Nashr wa-al-Tawzī' wa-al-I'lān.
8. Ibn 'Āshūr, M. Ṭ. (n.d.). Tafsīr al-taḥrīr wa-al-tanwīr (1st ed.). Al-Dār al-Tūnisiyyah lil-Nashr.
9. Ibn Mālik, A. 'A. (1999). Min dhakhā'ir Ibn Mālik fī al-luġah: Mas'alah min kalām al-Imām Ibn Mālik fī al-ishtiḳāq (M. M. 'A. 'Ammār, Ed.). Majallat al-Jāmi'ah al-Islāmiyyah bi-al-Madīnah al-Munawwarah, 29(107), 1–20.
10. Al-Fārisī, A. Q. Z. 'A. (n.d.). Sharḥ kitāb al-Ḥamāsah lil-Fārisī (M. 'O. 'Alī, Ed.; 1st ed.). Dār al-Awzā'.

